تاريخ العرب قبل الاسلام

الاحوال الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام

يقسم المؤرخون العرب الى قسمين عظيمين: القسم الاول، العرب البائدة وهم الذين بادوا ودرست اثارهم وانقطعت اخبارهم، كأخبار عاد وثمود، اما القسم الثاني فهم العرب الباقية، وينقسمون الى فرعين: العرب العاربة، وهم شعب قحطان وموطنهم بلاد اليمن، ومن اشهر قبائلهم جرهم ويعرب.

اما الفرع الثاني فهم العرب المستعربة: ويقال لهم العرب المتعربة ايضا، وسموا بذلك لان اسماعيل بن نبي الله ابراهيم عليه السلام كان يتكلم العبرانية او السريانية، فلما نزلت جرهم من القحطانية بمكة وسكنوا مع اسماعيل وامه، تزوج منهم وتعلم هو وابناءه العربية، فسموا بذلك العرب المستعربة، وهم جمهور من البدو والحضر الذين يسكنون اواسط جزيرة العرب وبلاد الحجاز الى بادية الشام حين خالطهم اخيرا في مساكنهم عرب اليمن بعد انكسار سد مأرب.

فالبلاد العربية قبل الاسلام لم تكن دولة بالمعنى الذي نفهمه الان من حيث نظام منفصل عن الجماعة ومستقل عنها في وظيفته، وله سلطان يخضع له الناس، لم يكن موجودا في بلاد العرب، وانما كانت الدولة عندهم هي الجماعة في جملتها، ولم تكن هيئة لها نظامها الخاص ولا كانت لها ارض محددة، فليس هناك موظفون يديرون شؤون الجماعة بالمعنى الذي نعرفه في الدولة، بل كان هناك كيان اجتماعي طبيعي بالغ درجة النماء عرف باسم (القبيلة) يقوم فيه رؤساء العشائر والبطون برعاية شؤون الجماعة.

وكذلك الحال بالنسبة للمدن، فلم تكن المدينة هي الوحدة الاساسية كما الحال عند اليونان، بل كانت القبيلة هي هذه الوحدة مثل قريش في مكة وثقيف في الطائف، وقد جرى عرف العرب على الانتساب الى القبائل لا الى المدن.

اما مفهوم الامة عندهم فلم تكن تتميز عن الاسرة الا انها اكبر، فكانت وحدة الجماعة تقوم على رباط الدم وتقديسها تلقائيا، وكان الاشتراك في النسب او الاعتقاد بمثابة الروح التي تجعل القبيلة كالجسد الواحد.

وقد وجد نظام حضري في اطراف الجزيرة العربية، فقد قامت ممالك اليمن في الجنوب، كما قامت مملكة الحيرة في الشمال الشرقي، ومملكة غسان في الشمال الغربي، لكن القبيلة كانت وحدة النظام السياسي والاجتماعي في هذه الممالك، فلم تتصهر الجماعة فيها في شعب واحد كالشعب الروماني مثلا، وانما ظلت القبائل وحدات قائمة متمسكة بكيانها.

من كل ذلك نرى ان الفكرة القبلية هي جوهر الحياة السياسية والاجتماعية، القبيلة العربية مجموعة من الناس كانت تؤمن بوجود رابطة تجمعهم تقوم على اساسين: من وحدة الدم، ووحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم العلاقة بين الفرد والجماعة على اساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت القبيلة تتمسك به اشد التمسك في نظامها السياسي والاجتماعي على حد السواء.

النظام السياسي للقبيلة العربية

كانت الروح الديمقراطية تسود المجتمع القبلي، فكان لكل قبيلة رئيس يقال له شيخ القبيلة، واحيانا يطلقون عليه الامير او الملك، وهذا الشيخ تنتخبه القبيلة، ولكنه لم يكن انتخابا بالمعنى المفهوم لدينا الآن، وانما كان اختيارا تلقائيا، فكل رجل في القبيلة فاق

الاخرين في الفضائل التي منها الشجاعة والجود والغيرة وسعة الثروة وسداد الرأي وكمال التجربة مع كبر السن يمكنهُ لهذه المواصفات الكفيلة بتحقيق مصالح القبيلة، ان يكون سيدا للقبيلة، وان كان الواجب ان يكون شيخ القبيلة من صريح نسبها لنفور العرب ان يحكم في القبيلة احد من غيرها.

كما يجب ان يكون شيخ القبيلة من اقوى بطونها واذكرها شرفا واكثرها عصبية لتمكنه من الرياسة ومن اطاعة القبيلة واحترامها لرأيه.

وفضلا عن اختيار شيخ القبيلة يتم تشكيل (مشيخة القبيلة) او مجلسها، والذي يمثل الركن المهم في نظام القبيلة العربية، اذ ان سلطة رئيس القبيلة كانت محددة بواسطة هذا المجلس الذي يمثل الرأي العام في القبيلة.

يتألف مجلس مشيخة القبيلة من اصحاب الرأي فيها، فنجد شاعر القبيلة والحكام الذين يفصلون في القضايا بين الناس، وكان لكل قبيلة حكم أو اكثر لانه لم يكن لديهم دين يرجعون الى شرائعه، فكان يحكمون بالعرف، ويضم المجلس كذلك الرجال الشجعان المشهورون بالفروسية، وبعض الافراد من اصحاب المكانة كالكاهن والعراف والقصاص، هذا بالإضافة الى شيوخ العشائر وكبار السن في القبيلة.

ولهذه الهيئة مجلس يجتمعون فيه كلما دعت الضرورة الى الاجتماع للمداولة في شؤون الحرب والسلم والفصل في الخصومات ودفع الديات وكل مايهم القبيلة.

وشيخ القبيلة هو الذي يقودها في الحروب ويقسم الغنائم ويستقبل الوفود الاخرى، ويعقد الصلح والمحالفات، وكان يتحمل اكبر قسط من جرائر القبيلة وما تدفعه من ديات، كما كان عليه ان يصلح ذات البين فيها ويلم شعثها ويعمل على حفظ وحدتها.

التشكيل الاجتماعي للقبيلة العربية

كانت القبيلة وحدة الحياة الاجتماعية كما كانت وحدة الحياة السياسية، وكانت كل قبيلة تؤمن بوجود رابطة تجمع بين افرادها على اساس من وحدة الدم ووحدة الجماعة، وفي ظل هذه الرابطة، وفي ظل القانون العرفي الذي نشأ على اساسها، انقسم المجتمع القبلي الى طبقات اجتماعية ثلاث:

١-طبقة الاحرار، ابناء القبيلة الصرحاء، وهم الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب المشترك.

٢-طبقة الموالي، وهم من انظموا الى القبيلة من العرب الاحرار من غير ابنائها عن طريق الجوار او الحلف او العتقاء من الارقاء فيها.

٣-طبقة الارقاء، وهم المجلوبون عن طريق الشراء او اسرى الحروب.

ولكل من هذه الطبقات منزلته في السُّلم الاجتماعي، فنحن امام مجتمع طبقي تفصل بين طبقاته حدود واضحة.

دستور القبيلة

كان للقبائل العربية دستور عرفي عام، يشترك فيه كل افراد القبيلة وهذا الدستور ينحصر في كلمة واحدة هي العصبية، واذا كان الدستور هو القانون الاساسي، فان قواعده كلها انبنت على العصبية، والعصبية في الفطرة بمنزلة القومية او الوطنية في العصور الحديثة، ولقد كانت قوية جدا في القبائل العربية على خلاف المعروف في المجتمعات الحضرية.

ولقد كانت من مصلحة القبيلة ان تكون يداً واحدة في كل الاحوال لانها اذا انقسمت على نفسها في أمر ما تلاشت، فالمصلحة كانت تقتضي وجود التضامن الشديد، اذ ان القبيلة محاطة بالاعداء، فانقسامها معناه ضعفها وتلاشيها.

اذن فان ملاك الكيان القبلي هو قرابة الدم والايمان بالقبيلة وتقديس مصالحها.